عنوان المحاضرة (نقد الأسلوب ومقاييسه)

أ-مقياس الصواب والخطأ في الاستعمال اللغوي (١-النحو والصرف ٢-الدلالة)

اعداد : أ . م . د . مرتضى عبد النبي الشاوي

دراسات عليا – ماجستير / فرع الأدب / مادة دراسات في النقد العربي القديم

الأسلوب في اللغة يقال للسطر من النخيل أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب والأسلوب الطريق والوجه والمذهب فيقال أخذ في أساليب من القول أي أفانين منه .

أما في مفهوم النقاد والبلاغيين القدامى فكلمة أسلوب عن ابن قتيبة والخطابي والباقلاني عندهم مبهمة وربما تدل على النوع الأدبي والموضوع وطريقة الصياغة او طريقة التأليف واحيانا يدل على المناهج الفنية .

لكن الأسلوب عند المحدثين فهو ظهر القول الذي ينجم عن اختيار وسائل التعبير هذه الوسائل التي تحددها طبيعة ومقاصد الشخص المتكلم او الكاتب .

أو اختيار أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين .

١-النحو والصرف

لم يستخدم النقاد العرب القدامى قواعد النحو مقياساً نقدياً قبل العصر الأموي وإنّما حدث ذلك بعد أن وضع العرب هذه القواعد ، وبعد أن فشا الفساد في اللغة العربية بسبب اختلاط العرب بالشعوب الأخرى .

والقارئ للموروث النقدي للشعراء قبل القرن الرابع الهجري لا يكاد يقف على نص نقدي لشاعر يعتمد على هذا المقياس بل إن من الواضع أن العلاقة بين الشعراء ونقادهم –من هذا الجانب – كانت تتسم بالتوتر .

فحين انتقد الفرزدق على قوله :

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً أو مجلّف

فسئل عن سبب رفعه آخر البيت ، شتم الفرزدق السائل ، وقال (عليّ أن أقول وعليكم أن تحتجوا)

ولعل السبب في عدم استخدام الشعراء لقواعد اللغة مقياسا نقدياً قبل القرن الرابع الهجري يرجع إلى أن هذا المقياس يستند الى ثقافة علمية خاصة فهو لا يخضع في الغالب للذوق أو الحس الفني .

وقد كان للحسن بن وكيع التنيسي بعض المآخذ النحوية والصرفية على شعر المتنبي في كتابه (المنصف) لعل من أهمها :

أ-قياسه على ما هو شاذ

إذ يخطأ المتنبي في اشتقاقه لصيغة التفضيل من الفعل الرباعي فقد لنتقد ابن وكيع ذلك في قول المتنبي :

أبعد بعدت بياضاً لا بياض له لأنت أسود في عيني من الظلم

فيعلق عليه قائلاً (سامح أبو الطيب نفسه هذا ، ولم يبلغ علمه إلى ما فيه عليه لأن العرب لا تقول : أسود من كذا ولا أحمر من كذا انّما تقول في الألوان أشد سواداً وأشد حمرة هذا رأي البصريين وما ورد ما قاله أبو الطيب إلا في يتبين شاذين غير مأخوذ بهما ولا معول عليهما)

ب-أخطاؤه في الاشتقاق :

فقد انتقد ابن وكيع قول المتنبي :

سمّيت بالذهبي اليوم تسمية مشتقة من ذهاب العقل لا الذهب

فقال (وذهاب العقل لا ينسب إليه ذهبي بل ذهابي وما أحسن الاشتقاق) فالمتنبي أخطأ في اشتقاقه لكلمة الذهبي من الذهاب اذ ان الذهبي مشتقة من الذهب لا الذهاب .

ج-تذكر المؤنث :

انتقد ابن وكيع قول المتنبي :

ليس بالمنكر أن برّزت سبقاً غير مدفوع عن السبق العِرابُ

فقال (ذكر المؤنث هاهنا ولا فرق بين أن يقول مثل هذا أو يقول : الهندات قائم وذلك غير جائز) اذ كان على المتنبي أن يقول (غير مدفوعة عن السبق العراب) فهو قد ذكّر العراب من الخيل .

٢-الدلالة

يشكل اتساع اللغة بكثرة مفرداتها مهمة صعبة للشاعر عند تأليف أبياته إذ قد تكون إحدى الكلمات التي يستعملها قاصرة عن التعبير عن مراده أو قد تنحرف بالمعنى عما يقصده ، أو أن تكون هناك كلمة تعطي للمعنى قوة قد لا تعطيه لها لفظة أخرى ، وهذا كله يتطلب من الشاعر أن يحرص على اختيار الكلمات التي يعتقد أنها أكثر دقة في إيصال المضمون – الذي يهدف إليه – للمتلقين .

والشعراء العرب لم يكونوا غافلين عن إدراك هذه الحقيقة فقد صدرت عن بعضهم أحكام نقدية تكشف عن اهتمامهم بهذا الجانب .

فقد أنشد منشد قول كثير :

وقضّين ما قضّين ثم تركنني بفيفا خريم قاعداً أتلذذ

(فقال كثير : أنا ما قلت كذا أتراني قاعداً أصنع ماذا ؟ قيل : فجالساً قال : ولا هذا ...قيل فما قلت قال : واقفاً)

فكثير عزة يشعر بالاختلاف بين الالفاظ المقترحة لإدراكه لمدلولاته المعنوية في نفسه ودور كل لفظة منها في السياق وهو إحساس قد لا يبدو لمستمعه وقد علق الآمدي مفسراً ما قاله كثير بقوله : يري د واقفاً على مطيته فهذا هو المعروف من عاداتهم)

ويكشف بشار بن برد عن حرصه الشديد على دقة ألفاظه فقد دعاه مروان بن أبي حفصة إلى استعمال لفظة (خرست) بدلا عن (خرجت) في قول بشار :

وإذا قلت لها جودي لنا خرجتْ بالصمت من لا ونعم

فقد قال له بشار (اذن أنا في عقلك فض الله فاك أأتطير على من أحب بالخرس)

فأضرار بشار على لفظه نابع من إحساسه بأن كلمة (خرست) التي أراد منه مروان استخدامها تحمل في نظره مدلولا بغيضاً إذ إنها تعني أن الخرس قد أصاب حبيبته فصمتت عن إجابته وهو لا يريد ذلك وإنما يريد القول إنها عمدت إلى الصمت المؤقت حتى لا ترد عليه وهو توجيه دقيق يدل على فهم عميق لألفاظ اللغة ومعرفة بمدلولها الذي يقتضيه السياق .

وينتقد ابن وكيع التنيسي خطأ المتنبي في قوله :

مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

إذ يعلق على هذا البيت قائلاً (الرؤيا في الرقاد والرؤية في النظر)

فهو يرى أن المتنبي كان يقصد الرؤية الحسية وأنه لم يكن دقيقاً في اختيار اللفظة المناسبة .

وابن وكيع – في رأي النقاد – يبدو مخطئاً في نقده إذ أن العرب القدامى كانت تستخدم الرؤيا بالمعنى الذي قصده المتنبي وهو المشاهدة الحسية فقد جاء في لسان العرب جاء الرؤيا في اليقظة قال الراعي النميري :

فكبّر للرؤيا وهشّ فؤاداه وبشّر نفساً كان قل يلومها

وبهذا فإنّ المتنبي لك يكن مخطئاً في بيته السابق .

ملاحظة : يترك موضوع (المقاييس الجمالية) للمحاضرة القادمة

وفقكم الله